

Considering the thought of Imam al-Haramayn al-Juwayni (may God have mercy on him)

م.د. حيدر سعد خليل*

Dr. Haider Saad Khalil

hdsakh8080@gmail.com

المستخلص:

يركز البحث على موضوع: (النظر العقلي) من خلال ما قدمه امام الحرمين الجويني في كتبه في مختلف العلوم، وتظهر أهمية هذا البحث من خلال ضرورته للأمة في تكوين عناصر نهضتها وبناء حضارتها وبناء الأسس المعرفية التي من شأنها أن تُبعد عن الخطأ في التفكير وفي إدارة الحوارات البناءة للوصول إلى الصواب، وقد اقتصر الكلام عن النظر العقلي من وجهة نظر إمام الحرمين مع مقارنة أقواله بأقوال غيره من العلماء البارزين في هذا الشأن ، وقد توصل البحث إلى حاجة المسلم إلى النظر فيما حوله من الآيات الكونية والنظرية للخروج من التقليد وترديد أقوال الآخرين دونما تعقل أو روية ، وضرورة مراعاة النظم العقلية التي قررها علمائنا في إدارة الحوارات والمناظرات للوصول إلى الصواب.

الكلمات المفتاحية : النظر ، العقل، الفكر ، الاستدلال ، امام الحرمين الجويني.

Abstract:

The research focuses on the topic of “Intellectual Contemplation” as presented by Imam Al-Haramayn Al-Juwayni in his works across various disciplines. The significance of this study lies in its relevance to the Muslim community's need for intellectual revival and civilizational progress by establishing foundational principles of knowledge. These principles are essential for avoiding errors in thinking and managing constructive dialogues to reach the truth. The study is limited to discussing intellectual contemplation from Al-Juwayni's perspective, with a comparison of his

* ثانوية الحضرة المحمدية الإسلامية في الفلوجة/ العراق، التابعة إلى: دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية/ ديوان الوقف السني.

views to those of other prominent scholars in the field. The research concludes that Muslims need to reflect on the surrounding cosmic and theoretical signs to abandon blind imitation and mere repetition of others' statements without reasoning or consideration. It also emphasizes the necessity of adhering to the logical frameworks established by scholars for managing debates and dialogues effectively to attain correctness.

Keywords: contemplation, intellect, thought, reasoning, Imam Al-Haramayn Al-Juwayni.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيد الأولين ، وخيرة الأنبياء وخاتمهم ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..
أما بعد :

فإن مما ميز الله سبحانه وتعالى به الانسان عن باقي المخلوقات، العقل الذي مكنه من تعمير الأرض وتزليل مواردها في خدمته، وتكريسها لخدمة احتياجاته، كما ومكنه من عمق التفكير والبحث فيما وراء مظاهر الحياة البسيطة، فجعل يتساءل اسئلة تتجاوز واقعه، وتتحدى حدود ادراكه، فأصبح للعقل كيانه المستقل، وأدلته واحكامه التي يقطع بها حتى من دون أن يرجع إلى الحس في بعض الأحيان ، وقد درج علماءنا رحمهم الله على اعطاء العقل منزلته الرفيعة التي اولهاها الله له، دون إفراط ولا تفريط ، وتلك الوسطية هي التي امتاز بها اهل السنة والجماعة وكان من اهم مشايخ ذلك الاتجاه، وسلاطين هذا المذهب امام الحرمين الجويني، والذي اثرى المكتبة الاسلامية بمؤلفات قل نظيرها ، واتعب من كتب بعده وقبله في مجاراته في طول النفس والاستدلال المحكم، مع جمال العبارات ، وانسياب الالفاظ طوعاً للمعاني الشريفة العالية ، التي خطها ببنان الاجتهاد والمثابرة رحمه الله تعالى وجزاه عن الأمة خير الجزاء .

ونحن في هذا البحث نحاول ان نسلط الضوء على جزئية صغيرة ، ولكنها مع صغرها تتمتع بالأهمية البالغة وهي النظر العقلي.

اسباب اختيار الموضوع:

يمكن ان نجمل أسباب اختيار موضوع (النظر العقلي) والاقتصار على شخصية امام الحرمين في معالجته لذلك الموضوع بالأسباب الآتية:

١. لما يتمتع به هذا الموضوع من أهمية بالغة، وخاصة في زمن الحريات العقلية والتي اتيح للعقل ان يفكر في أي شيء دون قيود أو ضوابط مع سيل جامع من الأفكار والاجتهادات والشبه التي تتوارد من كل مكان في وسائل التواصل وغيرها
٢. ان اي انسان يريد ان يفكر أو يحاور انساناً آخر يجب ان يجعل له مرتكزات عقلية ومسلمات اوليه ليرتكز عليها في حوار، وذلك ما تدور عليه مباحث النظر
٣. حتى لا يشتت الانسان في تفكيره ويجانب الصواب جعل علماءنا شروطاً يجب عليه ان يتوخاها ، وذكروا اسباباً للفساد عليه ان يتجنبها كل ذلك في مباحث النظر
٤. وبما ان مباحث النظر تذكر في مقدمات كثير من العلوم ، كعلم الاصول وعلم الكلام وعلم المنطق ، فهي قاعدة عامة للتفكير لا تختلف من علم لعلم إلا في الآليات التخصصية بكل علم، لذلك فإن تلك المباحث طويلة ومتناثرة ولا تفي هذه الوريقات ببيانها ، فاقترنت على بعض ما ذكره إمام الحرمين الجويني، وانما وقع الاختيار على هذا الإمام، لما خص الله سبحانه وتعالى هذا الإمام من النبوغ والقبول عند العلماء حتى جعله مرحلة من المراحل المهمة في تبلور الفكر الاسلامي ونضجه، ولا يمكن لأي باحث في هذه العلوم من تجاوز هذه المحطة المهمة.

محتويات البحث

وقد تضمن هذا البحث ما يأتي:

المبحث الاول : التعريف بإمام الحرمين. ويضم مطلبين:

المطلب الأول: اسمه نسبه ، ولادته ، نشأته.

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه، مؤلفاته.

المبحث الثاني: النظر العقلي، تعريفه ، اقسامه، شروطه ، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الاول: تعريف النظر لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تقسيم العلم إلى ضروري ونظري وبيان الحاجة إلى النظر

المطلب الثالث: تقسيم النظر إلى صحيح وفساد وبيان شروط الصحة.

الخاتمة : وفيها أبرز النتائج والتوصيات

هذا ما تيسر لي القيام به في هذا البحث، فإن أصبت فمن الله، وله الفضل على، ومن أخطأت فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه، والله أعلم وأحكم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

المبحث الأول

التعريف بإمام الحرمين. ويضم مطلبين:

المطلب الأول

اسمه نسبه ، ولادته ، نشأته.

أولاً: اسمه، ونسبه: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد ابن حيويه إمام الحرمين أبو المعالي ابن الإمام أبي محمد الجويني الفقيه^(١) ويكنى ويلقب بألقاب هو بها حقيق منها:

١. ابو المعالي. (٢)

٢. ضياء الدين (٣)

٣. رئيس الشافعية^(٤)

٤. امام الحرمين: وقد شاع وانتشر هذا اللقب حتى اصبح مختصاً به ومتى اطلق فلا يدل على غيره، وسبب هذا اللقب انه جاور بمكة بعد فراغه من الحج اربع سنين متفرغاً للعبادة والتدريس والإفتاء والتصنيف ومجالسة العلماء^(٥)

اما نسبته إلى (جوين) و(نيسابور) فتلك بلدتان من بلدان فارس^(٦)

وترجع عائلته إلى اصول عربية، من قبيلة يقال لها (سنبس) وهي بطن من بطون (طيء)، والواقع التاريخي يؤكد ان عدداً من القبائل العربية قد انتقلت عند الفتح الاسلامي وبعده إلى خراسان وما

(١) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركبي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ١٩ / ١١٦.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ، ٥ / ١٥٦.

(٣) الوافي بالوفيات ١٩ / ١١٦.

(٤) المصدر نفسه، ١٩ / ١١٦.

(٥) ينظر: الامام الجويني ، امام الحرمين ، الدكتور محمد الزحيلي، دار القلم دمشق، الطبعة الثانية، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) ٤٦

(٦) ينظر: الجويني إمام الحرمين ، الدكتورة فوعية حسين محمود، المؤسسة المصرية العامة ، سلسلة اعلام العرب ،

وراء النهر، واستقرت هناك، بالإضافة إلى استمرار تنقل العرب المسلمين أفراداً وجماعات إلى جميع الأصقاع الإسلامية للدعوة والعلم والتجارة والجهاد والاستيطان^(١)

ثانياً: ولادته:

ذهب معظم المؤرخين أن ولادته كانت في الثامن عشر من محرم سنة (٤١٩ هـ) في نيسابور. ^(٢)

ثالثاً: نشأته:

نشأ إمام الحرمين في أسرة معروفة بالعلم والدين والأدب، وكان من بين أهم تلك الشخصيات التي تأثر بها، هي والده :

وهو: أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد حيويه الجويني الفقيه الشافعي والد إمام الحرمين ، كان إماماً في التفسير والفقه والأصول والعربية والأدب، قرأ الأدب أولاً على أبيه أبي يعقوب يوسف بجوين، ثم قدم نيسابور واشتغل بالفقه ثم انتقل إلى أبي بكر القفال المروزي، واشتغل عليه بمرور ولازمه واستفاد منه وانتفع به وأتقن عليه المذهب والخلاف وقرأ عليه طريقته وأحكمها، فلما تخرج عليه عاد إلى نيسابور سنة سبع وأربعمئة وتصدّر للتدريس والفتوى فتخرج عليه خلق كثير منهم ولده إمام الحرمين.

وكان مهيباً لا يجري بين يديه إلا الجد، وصنف التفسير الكبير المشتمل على أنواع العلوم، وصنف في الفقه التبصرة والتذكرة ومختصر المختصر والفرق والجمع والسلسلة وموقف الإمام والمأموم وغير ذلك من التعاليق، وسمع الحديث الكثير.

وتوفي في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين ، بنيسابور، والله أعلم^(٣)

وكان والد إمام الحرمين حريصاً على الحلال شديد الورع ، في تحري لقمة الحلال ، وقد اشتهر عنه ذلك وفيما يلي بعض الصور التي تدل على علو شأن هذا الإمام وكمال عفته وطهارته ومما يذكر في ذلك:

١. "من ورعه أنه ما كان يستند في داره المملوكة له إلى الجدار المشترك بينه وبين جيرانه ولا

يدق فيه وتدا"^(٤)

(١) وفيات الأعيان ، ٥ / ٧٤، وينظر: الامام الجويني، امام الحرمين، محمد الزحيلي، ٤٣.

(٢) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، سنة الولادة ٦٧٣ / سنة الوفاة ٧٤٨، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣، بيروت، ١٨ / ٤٦٨،

(٣) ينظر: وفيات الأعيان ، ٣ / ٤٧.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ، السبكي، ٥ / ٧٤.

٢. "كَانَ يَخْتَاظُ فِي آدَاءِ الرِّكََاةِ حَتَّى كَانَ يُؤَدِّي فِي سَنَةِ وَاحِدَةٍ مَرَّتَيْنِ حَذْرًا مِنْ نِسْيَانِ النَّيَّةِ أَوْ دَفْعِهَا إِلَى غَيْرِ الْمُسْتَحَقِّ"^(١)

٣. ومما اتفق عليه علماء التراجم ما يسمى بـ (حادثة المصصة)، وهو ان والد امام الحرمين "كان في أول أمره ينسخ بالأجرة، فاجتمع له من كسب يده شيء اشترى به جارية موصوفة بالخير والصلاح، ولم يزل يطعمها من كسب يده أيضاً إلى أن حملت بإمام الحرمين، وهو مستمر على تربيتها بكسب الحل، فلما وضعت أوصاها أن لا تمكن أحداً من إرضاعه، فاتفق أنه دخل عليها يوماً وهي متألّمة والصغير يبكي، وقد أخذته امرأة من جيرانهم وشاغلته بثديها فوضع منه قليلاً، فلما رآه شق عليه وأخذته إليه ونكس رأسه ومسح على بطنه وأدخل إصبعه في فيه ولم يزل يفعل به ذلك حتى قاء جميع ما شربه، وهو يقول: يسهل علي أن يموت ولا يفسد طبعه بشرب لبن غير أمه. ويحكى عن إمام الحرمين أنه كان تلحقه بعض الأحيان فترة في مجلس المناظرة فيقول: هذا من بقايا تلك الرضعة".^(٢)

خامساً: وفاته:

ولما مرض حمل إلى قرية من أعمال نيسابور، موصوفة باعتدال الهواء وخفة الماء، فمات بها ليلة الأربعاء وقت العشاء الآخرة الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، ونقل إلى نيسابور تلك الليلة ودفن من الغد في داره، ثم نقل بعد سنين إلى مقبرة الحسين ودفن إلى جانب أبيه وكسر منبره في الجامع وأغلقت الأسواق وكان له نحو أربع مائة تلميذ فكسروا محابرهم وأقلامهم وطافوا في البلد ناحبين عليه مبالغين في الصياح والجزع وأقاموا على ذلك حولا ووضع المناديل على الرؤوس عاما بحيث إنّه ما اجتراً أحد على ستر رأسه من الرؤوس والكبار وصلى عليه ابنه أبو القاسم بعد جهد وأكثر الشعراء في مرثيته^(٣)

المطلب الثاني

شيوخه ، تلاميذه، مؤلفاته

أولاً: شيوخه:

لإمام الحرمين الجويني (رحمه الله) شيوخ كثيرة وعلماء قد استقى منهم العلم نذكر من بين أهمهم:

١. والده عبد الله بن يوسف الجويني، وقد مر ذكره في المطلب السابق.

(١) طبقات الشافعية الكبرى ، السبكي ، ٥ / ٧٤.

(٢) وفيات الاعيان ، ٣ / ١٩٦. وينظر: الامام الجويني، محمد الزحيلي، ٥٠، وما بعدها.

(٣) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) لمحقق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ٣/١٦٩، وينظر: الوافي بالوفيات، ١٩ / ١١٦.

٢. "عبد الجبار بن علي بن محمد بن حسان الأستاذ أبو القاسم الإسفراييني المتكلم الأصم المعروف بالإسكاف فقيه إمام أشعري من تلامذة أبي إسحاق الإسفراييني المبرزين في الفتوى توفي سنة اثنتين وخمسين وأربع مائة" ^(١) وذلك "أنه لما توفي أبوه كان سنه دون العشرين أو قريباً منه فأقعد مكانه للتدريس فكان يُقيم الرّسم في درسه ويقوم منه ويخرج إلى مدرسة البيهقي حتى حصل الأصول وأصول الفقه على الأستاذ الإمام أبي القاسم الإسكاف الإسفراييني وكان يواظب على مجلسه" ^(٢) وكان يقول في أثناء كلامه: (كنت عقلت عليه في الأصول أجزاء معدودة وطالعت في نفسي مائة مجلدة) ^(٣)

٣. "أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد المرورودي الفقيه الشافعي المعروف بالقاضي صاحب التعليقة في الفقه؛ كان إماماً كبيراً صاحب وجوه غريبة في المذهب، وكلما قال إمام الحرمين في كتاب "نهاية المطلب" والغزالي في "الوسيط والبسيط": "وقال القاضي" فهو المراد بالذكر لا سواه" ^(٤)

٤. الحافظ أبو نعيم: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني الحافظ المشهور صاحب كتاب حلية الأولياء؛ كان من الأعلام المحدثين، وأكابر الحفاظ الثقات، أخذ عن الأفاضل، وأخذوا عنه، وانتفعوا به، وكتابه الحلية من أحسن الكتب، وله كتاب تاريخ أصبهان ^(٥)

ثانياً: تلاميذه:

وله (رحمه الله) تلاميذ كثير انتشروا في الأرض، ونذكر ثلاثة منهم ، ولو لم يكن لامام الحرمين إلا هؤلاء لكفى وقد جمعهم امام الحرمين بمقولته المشهورة:

"الغزالي بحرٌ مغرقٌ، والكيّا أسدٌ مطرّقٌ، والخوافي نارٌ تُحرقُ" ^(٦)

١. أبو المظفر أحمد بن محمد بن المظفر الخوافي الفقيه الشافعي؛ كان أنظر أهل زمانه، تفقه على إمام الحرمين الجويني، وصار أوجه تلامذته، ولي القضاء بطوس ونواحيها، وكان مشهوراً بين العلماء بحسن المناظرة وإفحام الخصوم وكان رفيق أبي حامد الغزالي في الاشتغال، ورزق الغزالي

(١) الوافي بالوفيات، ٢٣/ ١٨، وينظر أيضاً ص: ١١٦/١٩، وينظر سير اعلام النبلاء ، ١٧/١٤.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، ١٧٥/٥.

(٣) المصدر نفسه، ١٧٥/ ٥.

(٤) وفيات الأعيان، ١٣٤/٢.

(٥) وفيات الاعيان، ٩١/ ١.

(٦) سير اعلام النبلاء، ٢٧٤/١٤.

السعادة في تصانيفه، والخوافي السعادة في مناظراته. وتوفي سنة خمسمائة بطوس، رحمه الله تعالى.^(١)

٢. (الكلية الهراسي) العلامة، شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ، وَمُدَرِّسُ النِّظَامِيَّةِ، أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ الطَّبْرِيِّ الهَرَّاسِيِّ، رَحَل، فَتَقَّهَ بِإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ، وَبَرَعَ فِي الْمَذْهَبِ وَأُصُولِهِ، وَقَدِمَ بَغْدَادَ، فَوَلَّى النِّظَامِيَّةَ سَنَةَ "٤٩٣" وَإِلَى أَنْ مَاتَ، تَخَرَّجَ بِهِ الْأَيْمَّةُ، وَكَانَ أَحَدَ الْفَصَحَاءِ، وَمِنْ ذَوِي الثَّرْوَةِ وَالْحِشْمَةِ، لَهُ تَصَانِيفٌ حَسَنَةٌ، مَاتَ الْكَلْبِيُّ فِي الْمَحَرَّمِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسٍ مِائَةً،^(٢) وَالْكَلْبِيُّ بِالْعَجْمِيَّةِ: الكبير القدر المقدم بين الناس^(٣)

٣. الإمام الغزالي وهو أشهر من أن يعرف، "أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، الملقب بحجة الإسلام زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي، لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثل هُتَمُومٍ نيسابور واختلف إلى دروس إمام الحرمين أبي المعالي الجويني، وجد في الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة، وصار من الأعيان المشار إليهم في زمن أستاذه، وصنف في ذلك الوقت، وكان أستاذه يتبجح به، ولم يزل ملازماً له إلى أن توفي"^(٤)

ثالثاً: مؤلفاته:

ونذكر منها:

١. (الشامل) في أصول الدين ، وعلم الكلام. وهو من الكتب المبسطة والتي توسع فيها الإمام في ذكر الشبهات والرد عليها.
٢. (البرهان) : في أصول الفقه
٣. (الإرشاد) وهو في العقيدة وعلم الكلام، وهو دون الشامل في التفصيل والاستدلال.
٤. (العقيدة النظامية) وهي في العقيدة أيضاً.
٥. (نهاية المطالب في دراية المذهب) وهو من أهم وأوسع كتب المذهب الشافعي.
٦. (غنية المسترشدين في الخلاف)
٧. (الورقات) في أصول الفقه، وقد ذاع هذا الكتاب واشتهر عند الطلبة وله شروح كثيرة.^(٥)

(١) وفيات الاعيان ، ١ / ٩٦.

(٢) سير اعلام النبلاء، ١٤ / ٢٨٢

(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩ هـ) حققه: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ١ / ٢٧٩.

(٤) وفيات الاعيان، ٤ / ٢١٧.

(٥) ينظر: سير اعلام النبلاء، ١٤ / ٢٠. وفيات الاعيان، ٣ / ١٦٩، الوافي بالوفيات ، ١٩ / ١١٧.

المبحث الثاني: النظر العقلي، تعريفه ، أقسامه، شروطه ،

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الاول: تعريف النظر لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تقسيم العلم إلى ضروري ونظري وبيان الحاجة إلى النظر

المطلب الثالث: تقسيم النظر إلى صحيح وفاسد وبيان شروط الصحة.

المطلب الاول: تعريف النظر لغة واصطلاحاً

أولاً: تعريف النظر لغة:

جاء النظر في اللغة على عدة معانٍ متقاربة وترجع إلى أصل واحد :

١. نظر العين: تقول نَظَرْتُ إِلَى كَذَا وَكَذَا

٢. نَظَرَ الْقَلْبَ

٣. النظر: بمعنى الانتظار.

٤. التقابل والتجاور: يقال : حَيَّ جِلَالٌ وَنَظَرٌ، أي متجاورون يرى بعضهم بعضاً. وداري

تَنَظَّرُ إِلَى دَارِ فُلَانٍ، ودورنا تَنَظَّرُ، أي تقابل

٥. التوقع: وَيَقُولُ الْقَائِلُ لِلْمُؤَمِّلِ يَرْجُوهُ: إِنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ إِلَيْكَ، أَيِ إِنَّمَا أَتَوَقَّعُ فَضْلَ اللَّهِ ثُمَّ فَضْلَكَ.

وكل تلك المعاني ترجع إلى أصل واحد، وهو: " وَهُوَ تَأَمُّلُ الشَّيْءِ وَمُعَايَنَتُهُ، ثُمَّ يُسْتَعَارُ وَيُسْتَسْعَى فِيهِ " (١)

قال (إمام الحرمين) في الشامل: " اعلّموا ارشدكم الله أن النظر يتردد في إطلاق اللغة بين ضروب من الاحتمالات فيطلق ويراد به الإبصار والرؤية، وإذا أريد تجريد ذلك المعنى قُرِنَ (النظر) بإلى فقليل: (نظر فلان إلى كذا) وقد يعرى من ذلك ويراد به الرؤية أيضاً ، وقد يراد

(١) ينظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م/١٤٠٤هـ، وينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)

تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ٢/٨٣٠. وينظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٥/٤٤٤.

بالنظر الانتظار فيقال: نظر فلاناً، وانتظرته، قال تعالى : (انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ)^(١) وهذا انتظروا، وقد يذكر النظر والمراد به التراؤف والتعطف فيقال: فلان ينظر لفلان، أي يراعي حقه ويتحرره، وقد يتجاوز بإطلاقه على معنى التحاذي والتقابل فيقال: دار فلان ناظرة إلى دار فلان، إن تحاذيا في بعض الجهات^(٢)

ثانياً: النظر: اصطلاحاً:

عرفه امام الحرمين في الورقات: "النظر: هو الفكر في حال المنظور فيه"^(٣) وعرفه في الارشاد: "هو الفكر الذي يطلب به من قام به علماً او غلبة ظن"^(٤) وقال في الكافية في الجدل: "المراد بالنظر ههنا: فكر القلب وتأمله في حال المنظور، ليعرف حكمه"^(٥)

وقال في الشامل: "النظر : هو الفكر الذي يطلب به من قام به الفكر علماء أو غلبة الظن"^(٦) وقال في البرهان: "تردد في أنحاء الضروريات ومراتبها"^(٧) وبالنظر في التعريفات السابق يجد القارئ انها متقاربة وتدل على معنى واحد وإن كانت تختلف وضوحاً وخفاءً في الدلالة على المعنى المراد، وهو المراد بالنظر، وهو ببساطة توجيه طاقة العقل إلى التفكير في شيء معين للوصول إلى حكم فيه وذلك النظر قد يوصل إلى العلم واليقين إذا كانت مقدماته ومبادئه يقينية، وقد يوصل إلى الظن إن كانت مقدماته ظنية، وقد تتوفر فيه شروط الصحة فيكون صحيحاً وقد يجانب الصواب فيكون خطأً كما سيتضح معنا في ثنايا البحث.

(١) سورة الحديد، جزء من الآية : ١٣.

(٢) الشامل في أصول الدين، امام الحرمين الجويني، مؤسسة مطالعات اسلامية، ايران ، ١٣٦٠ هـ، ص: ٢٠.

(٣) الورقات، اما م الحرمين ، مع شرحه ، لعبد الرحمن بن ابراهيم الفزاري، المعروف بابن الفركاح الشافعي، تحقيق: سارة شافي الهاجري، دار البشائر الاسلامية، ١١٠/

(٤) الارشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، امام الحرمين الجويني، ت: الدكتور محمد يوسف موسى، مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٥٠ مصر ، ص: ٣.

(٥) الكافية في الجدل، امام الحرمين، تقديم الدكتورة فوقية حسين محمود، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٧٩ م، ١٧/

(٦) الشامل في أصول الدين، امام الحرمين، ص: ٤.

(٧) البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨ هـ)، المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة:

الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ١ / ٢٤

ثالثاً: الفاظ ذات الصلة:

هناك بعض الالفاظ التي تشارك لفظ النظر في معناه وقد تخالفه في بعض الجوانب، ومن تلك الالفاظ:

١. الاستدلال: "طلب الدليل ليؤدي إلى المطلوب فمؤدى النظر والاستدلال واحد" ^(١) أي ما يؤديان إليه ويفيدانه واحد وهو علم المطلوب أو ظنه فأحدهما يغني عن الآخر ^(٢)

٢. التأمل، التفكير، التدبر، الاعتبار:

يقول امام الحرمين في ذلك: "وحقيقة هذا النظر: هو التأمل أو التفكير أو التدبر، أو الاعتبار، أو الاستدلال، وكل واحد من هذا يصلح أن يكون حداً لما نعنيه النظر ههنا". ^(٣)

٣. الدليل: "هو المرشد إلى المطلوب، لأنه علامة عليه". ^(٤) وقال في التلخيص: "كل أمر صَحَّ أن يتَوَصَّلَ بِصَحِيحِ النَّظَرِ فِيهِ إِلَى عِلْمٍ مَا لَا يَعْلَمُ بِالْاضْطِرَارِّ" ^(٥)

٤. المناظرة: يقول امام الحرمين: "مأخوذ من النظر وكل مناظرة نظر، وإن كان ليس كل نظر مناظرة من حيث ان المناظرة مفاعلة من النظر وهو نظر بين اثنين" ^(٦) ويعني ذلك ان بينهما عموم وخصوص مطلق فالنظر أعم من المناظرة، حيث انها وفقاً لبنائها الدال على المفاعلة وهي المشاركة بين اثنين، تقتضي ان يكون النظر بين اثنين، ولا يشترط ذلك في النظر.

(١) شرح الورقات في أصول الفقه، جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي (المتوفى: ٨٦٤هـ)، قدّم له وحققه وعلّق عليه: الدكتور حسام الدين بن موسى عفانة، الناشر: جامعة القدس، فلسطين، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ص/٨٤.

(٢) المصدر نفسه، من كلام المحقق. ص ٨٤.

(٣) الكافية في الجدل، امام الحرمين، ١٧.

(٤) شرح الورقات للمحلي، ٨٤.

(٥) كتاب التلخيص في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، لمحقق: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت ١/ ١١٥.

(٦) الكافية في الجدل، امام الحرمين، ص: ١٩.

المطلب الثاني

تقسيم العلم إلى ضروري ونظري وبيان الحاجة إلى النظر

نحتاج في دراستنا للنظر إلى معرفة تقسيم العلم إلى الضروري والنظري، لأن الحاجة إلى النظر إنما تكون في استخلاص المجهولات عن طريق النظر في الضروريات والمعلومات للتوصل إلى المجهولات، ثم بعد ذلك نخرج على الحاجة إلى النظر، وأهميته :

أولاً: تعريف العلم:

لإمام الحرمين توجيه في تعريف العلم
التوجه الأول: ان العلم يُحدَّ ويعرف: فهو في الورقات وفي التلخيص حد العلم وعرفه
فقال في الورقات: العلم : "معرفة المعلوم، على ما هو به في الواقع، " (١)
وقال في التلخيص : "فإن قيل: فما حد العلم؟

قُلْنَا: حده معرفة المعلوم على ما هو به وإن اقتضت على معرفة المعلوم استقل الحد، ولو قلت:
العلم ما يعلم به المعلوم كان أسد عندنا، ولو قلت: العلم ما أوجب لمحله الاتصاف بكونه عالماً،
لَكَانَ صَحِيحاً" (٢)

التوجه الثاني: ان العلم لا يحد:

وقد ذهب في (البرهان) إلى ان العلم لا يحد، بعد أن ذكر جملة من تعريفات العلم لمن سبقه من العلماء وأورد بعض الاعتراضات التي تنتج عليها، ثم ذكر المرضي عنده وهو ان العلم لا يحد، وإنما يمكن التوصل إلى تصوره عن طريق التقسيم والنظر في اعداد العلم كالظن والجهل وبيان الفوارق بينها وبذلك يتميز العلم وترسم له صورة في الذهن (٣)

وقد وافقه الامام الغزالي في ذلك، فقال في المستصفى: "اختلف في حد العلم فقل إنه المعرفة وهو حد لفظي وهو أضعف أنواع الحدود فإنه تكرير لفظ بذكر ما يرادفه كما يقال حد الأسد الليث وحد العقار الخمر" (٤)

ثم بين الطريق إلى تصور العلم: فقال : "ولكننا نقدر على شرح معنى العلم بتقسيم ومثال:

(١) شرح الورقات، المحلي، ٨٠

(٢) التلخيص ، امام الحرمين، ١/ ١٠٩.

(٣) ينظر: البرهان ، امام الحرمين ، ٢٢/١.

(٤) المستصفى في علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى : ٥٠٥هـ) المحقق : محمد بن سليمان الأشقر، الناشر : مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة : الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ٦٦/١.

أما التقسيم فهو أن نميزه عما يلتبس به.. ولا يخفى أيضا وجه تميزه عن الشك والظن لأن الجزم منتف عنهما والعلم عبارة عن أمر جزم لا تردد فيه ولا تجويز ولا يخفى أيضا وجه تميزه عن الجهل فإنه متعلق بالمجهول على خلاف ما هو به والعلم مطابق للمعلوم وربما يبقى ملتبسا باعتقاد المقلد الشيء على ما هو به عن تلقف لا عن بصيرة وعن جزم لا عن تردد...

وأما المثال: فهو أن إدراك البصيرة الباطنة تفهمه بالمقايضة بالبصر الظاهر ولا معنى للبصر الظاهر إلا انطباع صورة المبصر في القوة الباصرة من إنسان العين كما يتوهم انطباع الصور في المرأة، مثلا فكما أن البصر يأخذ صور المبصرات أي ينطبع فيها مثالها المطابق لها لا عينها فإن عين النار لا تنطبع في العين بل مثال يطابق صورتها وكذلك يرى مثال النار في المرأة لا عين النار فكذلك العقل على مثال مرآة تنطبع فيها صور المعقولات على ما هي عليها" (١)

ثانياً: تقسيم العلم إلى ضروري ونظري:

ينقسم العلم إلى قسمين:

١. الضروري: وهو "العلم الضروري: ما لم يقع عن نظر واستدلال" (٢) ومن العلم الضروري ما يأتي:

أ- "العلم عن طريق الحواس الخمس الظاهرة، السمع والبصر وهي واللمس والشم والذوق فإنه يحصل بمجرد الإحساس بها من غير نظر واستدلال" (٣)

ب- المعلوم بالتواتر: "كعلمنا ببلد لم نره، بل علم يقينا بالتواتر، وكعلمنا بالملائكة والأنبياء، والأئمة الأربعة وغير ذلك" (٤)

ت- البديهيات: "ومن العلوم الضرورية العلم الحاصل ببديهة العقل كالعلم بأن الكل أعظم من الجزء، وأن النفي والإثبات لا يجتمعان" (١).

(١) المستقصى في علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) المحقق: محمد بن سليمان الأشقر، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ١/ ٦٦.

(٢) شرح الورقات، المحلي، ٨١.

(٣) المصدر نفسه، ٨١.

(٤) الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات في أصول الفقه، شمس الدين محمد بن عثمان بن علي المارديني الشافعي (المتوفى: ٨٧١هـ) المحقق: عبد الكريم بن علي محمد بن النملة، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩م، ص/ ١٠١.

٢. العلم المكتسب: و"هُوَ الْمَوْقُوفُ عَلَى النَّظَرِ وَالْإِسْتِدْلَالِ، كَالْعِلْمِ بِأَنْ الْعَالَمَ حَادِثٌ، فَإِنَّهُ مَوْقُوفٌ عَلَى النَّظَرِ فِي الْعَالَمِ وَمُشَاهِدَةٌ لَتَغْيَرِهِ، فَيَنْتَقِلُ الذَّهْنُ مِنْ تَغْيَرِهِ إِلَى الْحُكْمِ بِحُدُوثِهِ." (٢).

ثالثاً: بيان أهمية النظر والحاجة إليه:

ذكر العلماء أن أول واجب على المكلف معرفة الله تعالى، وتلك المعرفة لا تقبل أن كانت لمجرد التقليد والترديد دون النظر والفكر في محتواها، بل لا بد من تصديقها بالقلب والاذعان لها، لذلك أوجبوا على المكلف النظر، وهو أعمال العقل كما تقدم، في العالم وفي النفس ليتوصل إلى معرفة خالقه والتصديق بعظمته وحكمته،

يقول إمام الحرمين في ذلك: "أول ما يجب على العاقل البالغ، باستكمال سن البلوغ أو الحلم، القصد إلى النظر الصحيح المفضي إلى العلم بحدوث العالم" (٣)

وقال أيضاً: "إن قيل ما الدال على وجوب النظر والاستدلال من جهة الشرع؟ قلنا: أجمعت الأمة على وجوب معرفة الباري تعالى، واستبان بالعقل أنه لا يتأتى الوصول إلى اكتساب المعارف إلا بالنظر، وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب" (٤)

اختلاف العلماء في أول واجب على المكلف:

١. أنه معرفة الله تعالى، وهو قول أكثر العلماء منهم الإمام (أبي الحسن الأشعري).

دليلهم في ذلك: أنه معرفة الله أصل المعارف والعقائد الدينية وعليه يتفرع وجوب كل واجب من الواجبات الشرعية.

٢. هو النظر للتوصل لمعرفة الله سبحانه، وهذا مذهب جمهور المعتزلة والأستاذ أبي إسحاق الأسفرائيني،

دليلهم في ذلك: أن النظر واجب اتفاقاً كما مر وهو قبل المعرفة والسييل إليها.

٣. هو أول جزء من النظر، ودليلهم: أن وجوب الكل يستلزم وجوب أجزائه فأول جزء من النظر واجب وهو متقدم على النظر المتقدم على المعرفة

(١) قُرَّةُ الْعَيْنِ لِشَرْحِ رِقَاقَاتِ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الزُّعِينِي المالكي (المتوفى: ٩٥٤ هـ) تحقيق أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي، دار الفضيلة، مصر / ٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ٤٧.

(٣) الارشاد، إمام الحرمين، ص: ٣.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١١.

٤. هو القصد إلى النظر، وهو قول القاضي واختاره ابن فورك وإمام الحرمين دليلهم في ذلك: أن النظر فعل اختياري مسبوق بالقصد المتقدم على أول أجزائه. والخلاصة ان النزاع لفظي إذ لو أريد الواجب بالقصد الأول أي لو أريد أول الواجبات المقصودة أو لا وبالذات فهو المعرفة اتفاقاً وإن لم يرد ذلك بل أريد أول الواجبات مطلقاً فيكون أول واجب هو القصد إلى النظر لأنه مقدمة للنظر الواجب مطلقاً فيكون واجباً أيضاً^(١)

ثالثاً: الحث على النظر في القرآن الكريم:

الآيات الدالة على الحث على التفكير والنظر وإعمال العقل ، الذي من شأنه ان يوصل الانسان إلى الحقيقة إذا ما سار على طريقه الصحيح، ولم يتأثر بالأهواء والأغراض، تلك الآيات كثيرة نذكر منها آية جامعة، ثم نتبعها بأقوال المفسرين

قال تعالى: (قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ)^(٢) الآية تدل على مطلوبين: "الأول: أنه لا سبيل إلى معرفة الله تعالى إلا بالتدبر في الدلائل.. والثاني: وهو أن الدلائل إما أن تكون من عالم السموات أو من عالم الأرض، أما الدلائل السماوية، فهي حركات الأفلاك ومقاديرها وأوضاعها وما فيها من الشمس والقمر والكواكب، وما يختص به كل واحد منها من المنافع والفوائد، وأما الدلائل الأرضية، فهي النظر في أحوال العناصر العلوية، وفي أحوال المعادن وأحوال النبات وأحوال الإنسان خاصة، ثم ينقسم كل واحد من هذه الأجناس إلى أنواع لا نهاية لها. ولو أن الإنسان أخذ يتفكر في كيفية حكمة الله سبحانه في تخلق جناس بعوضة لا قطع عقله قبل أن يصل إلى أقل مرتبة من مراتب تلك الحكم والفوائد. ولا شك أن الله سبحانه أكثر من ذكر هذه الدلائل في القرآن المجيد، فلهذا السبب ذكر قوله: قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَذْكُرِ التفصيل، فكأنه تعالى نبه على القاعدة الكلية، حتى إن العاقل يتنبه لأقسامها وحينئذ يشرع في تفصيل حكمة كل واحد منها بقدر القوة العقلية والبشرية"^(٣)

(١) ينظر: كتاب المواقف ، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ، (ت: ٧٥٦هـ) تحقيق عبد الرحمن عميرة، الناشر دار الجيل، سنة النشر ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، لبنان - بيروت، وينظر أيضاً: شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني(ت: ٧٩١هـ) الناشر دار المعارف النعمانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، باكستان، ٤٨/١.

(٢) سورة يونس ، الآية : ١٠١.

(٣) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ، ٣٠٦ / ١٧.

فمعنى الآية السابقة : "أَيُّ فَادْعُهُمْ إِلَى النَّظَرِ فِي دَلَائِلِ الْوَحْدَانِيَّةِ وَالْإِرْشَادِ إِلَى تَحْصِيلِ أَسْبَابِ الْإِيمَانِ وَدَفْعِ غَشَاوَاتِ الْكُفْرِ، وَذَلِكَ بِالْإِرْشَادِ إِلَى النَّظَرِ وَالْإِسْتِدْلَالِ بِمَا هُوَ حَوْلَ الْإِنْسَانِ مِنْ أَحْوَالِ الْمَوْجُودَاتِ وَتَصَاريفِهَا الدَّالَّةِ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ، مِثْلِ أَجْرَامِ الْكَوَاكِبِ، وَتَقَادِيرِ مَسِيرِهَا، وَأَحْوَالِ الثُّورِ وَالظُّلْمَةِ وَالرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ وَالْمَطَرِ، وَكَذَلِكَ الْبَحَارِ وَالْجِبَالِ. وَافْتَتَحَتْ الْجُمْلَةُ بِ قُلْ لِإِهْتِمَامٍ بِمَضْمُونِهَا. وَقَدْ عَمَّمَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِيَتَوَجَّهَ كُلُّ نَفْسٍ إِلَى مَا هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهَا وَأَيْسَرُ اسْتِدْلَالِ عَلَيْهِ لَدَيْهَا. وَالنَّظَرُ: هُنَا مُسْتَعْمَلٌ فِيمَا يَصْلُحُ لِلنَّظَرِ الْقَلْبِيِّ وَالنَّظَرِ الْبَصَرِيِّ، وَلِذَلِكَ عُذِلَ عَنْ إِعْمَالِهِ عَمَلِ أَحَدِ الْفَعْلَيْنِ لِكَيْلَا يَتِمَحَّضَ لَهُ، فَجِيءَ بَعْدَهُ بِالْإِسْتِغْنَاءِ الْمُعْلَقِ لِكَيْلَا الْفَعْلَيْنِ بِحَيْثُ أَصْبَحَ حَمْلُ النَّظَرِ عَلَى كِلَيْهِمَا عَلَى حَدِّ السَّوَاءِ فَصَارَ صَالِحًا لِلْمَعْنَيْنِ الْحَقِيقِيِّ وَالْمَجَازِيِّ، وَذَلِكَ مِنْ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ"^(١)

المطلب الثالث

تقسيم النظر إلى صحيح وفساد وبيان شروط الصحة

أولاً: تعريف النظر الصحيح والفساد:

عرف امام الحرمين **النظر الصحيح** بما يأتي: "كل ما يؤدي إلى العثور على الوجه الذي منه يدل الدليل"^(٢)

اما **النظر الفاسد** فقال بعد أن ذكر تعريف **النظر الصحيح**: "والفاسد ما عداه"^(٣) ومعناه ان النظر الفاسد: كل ما لا يؤدي إلى العثور على الوجه الذي منه يدل الدليل. ولتوضيح ذلك فإن المراد بوجه الدليل: "ما يحصل به الإشعار بالمدلول وذلك لأن الدليل لا يدل من جميع وجوهه، وإنما يدل من بعض الوجوه، ومثال ذلك أن العالم يدل على وجود بارئه، ولكن أن نظرت فيه من حيث ان فيه ذواتاً قائمة بنفسها مستغنية محل أو قابلة للمعاني.. فلا دلالة به ولا إشعار، وإن نظرت فيه من حيث أنه حادث أو جائز الحدوث، أدرك العقل في وصف الجواز

(١) التحرير والتتوير «تحرير المعنى السديد وتتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣ هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، ١١ / ٢٩٥.

(٢) الارشاد، امام الحرمين، ٣.

(٣) المصدر نفسه، ٣.

أو الحدوث ما ليس في غيره من الوجوه والاعتبارات، فهذا هو وجه الدليل، وهو الذي يكون وسطاً في المقدمتين" (١)

وقال أيضاً: "النظر الصحيح يتضمن العلم كما سبق، والنظر الفاسد لا يتضمن علماً، وكما لا يتضمنه فكذلك لا يتضمن جهلاً ولا ضدّاً من أصداد العلم سواء فأن النظر الصحيح يطلع الناظر على وجه الدليل المقتضي للعلم بالمدلول" (٢)

وعرفهما الآمدي بأن الصحيح هو: مَا وَقَفَ النَّاطِرُ فِيهِ عَلَى وَجْهِ دَلَالَةِ الدَّلِيلِ عَلَى الْمَطْلُوبِ، وما ليس كذلك يكون فاسداً (٣)

"فالصحيح من النظر: ما كان من الجهة التي يدل منها الدليل على مدلوله.

والفاسد من النظر: ما كان من الجهة التي لا يدل منها على مدلوله، فمثلاً: الذي يريد أن يعمل دولاباً من خشب، إذا بحث في الخشب من جهة قدمه أو حادثته، أو من جهة ملك فلان له، أو نحو ذلك، فهذا الوجه لا يوصل إلى المراد، لكن إذا بحث من جهة استقامة الخشب واعوجاجه، ولينه وقساوته، أدى هذا إلى المطلوب؛ لأنه الوجه الذي يعين على صناعة الدولاب منه" (٤)

ثانياً: شروط النظر الصحيح:

ذكر امام الحرمين وغيره من اهل العلم شروطاً للنظر الصحيح ونحن نذكر ما ذكره العلماء ونشير إلى ما ذكر امام الحرمين من ذلك:

١. أن يكون نظراً في الدليل دون الشبهة، يقول امام الحرمين في ذلك: "وإذا فسد النظر بمصادفة الشبهة، فليس للشبهة وجه متعلق باعتقاد على التحقيق، إذ لو كان للشبهة وجه متعلق باعتقاد.. لكان دليلاً وكان الاعتقاد علماً، ومما يوضح ذلك أن الدليل لما دل بصفته النفسية دل كل من أحاط به علماً على مدلوله، فلو كان للشبهة وجه أيضاً، لقاد العالم بحقيقة الشبهة إلى الجهل، وليس الأمر كذلك" (٥).

(١) شرح الارشاد، مظفر بن عبد الله المصري المشهور المقترح، تحقيق: نزيه امعارج، المملكة المغربية الرابطة المحمدية للعلماء ، ١١٣/١

(٢) الارشاد، امام الحرمين، ٧.

(٣) ينظر : الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي، الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - لبنان، ١ / ١٠.

(٤) شرح الورقات في أصول الفقه، المؤلف : محمد الحسن ولد محمد الملقب بـ"الدود" الشنقيطي، مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتقريغها موقع الشبكة الإسلامية، ص: ٧.

(٥) الارشاد، امام الحرمين، ٧.

٢. "أن يكون النظر فيه من جهة دلالاته وهي الأمر الذي بواسطته ينتقل الذهن من الدليل إلى المدلول فإذا استدللنا بالعالم على الصانع بأن نظرنا فيه وحصلنا قضيتين :
- أ- إحداهما أن العالم حادث
- ب- والأخرى أن كل حادث له صانع ليعلم من ترتيبهما أن العالم له صانع فالعالم هو الدليل عند المتكلمين لا نفس المقدمتين المرتبتين على ما هو اصطلاح المنطق" (١)
٣. انعدام ما ينافي النظر: وهو نوعان:
- أ- "عام يضاد النظر وغيره وهو كل ما هو ضد الإدراك مطلقاً من النوم والغفلة والغشية فإنه يضاد النظر لاستلزامه الإدراك..
- ب- خاص يضاد النظر بخصوصه وهو العلم بالمطلوب من حيث هو مطلوب وأما العلم به من وجه فلا بد منه ليتمكن طلبه والجهل المركب به أعني الجزم به على خلاف ما هو عليه إذ صاحبهما لا يتمكن من النظر فيه أما صاحب الأول فلا متنازع طلب العلم مع حصوله وأما صاحب الثاني فلأنه جازم بكونه عالماً وذلك يمنع من الإقدام على النظر إما لأنه صارف عنه كالامتلاء عن الأكل وإما لأنه مناف للشك الذي هو شرط النظر" (٢)
٤. انحراف النظر عن الطريق الصحيح للدليل يقول امام الحرمين في ذلك: "ثم قد يفسد النظر بحيدّه عن سنن الدليل أصلاً" (٣)
- ويمكن توضيح ذلك أن يقال: " أشبه شيء بالنظر الموصل إلى العلم، الطريق الموصلة إلى بلد معين، فإن الذي يريد السير إلى ذلك البلد، إن سلك السبيل المؤدية إليه ، واستمر في سلوكه بلغ إليه لا محالة، وإن نكب عن تلك السبيل واستمر ماشياً في سلوكه لم يبلغ إليها أبداً، وكذلك الناظر هو السالك والدليل كالطريق المسلوكة" (٤)
- وصلاح النظر بصحة الدليل من ناحيتين: صورته ومادته، ويمكن توضيح ذلك بما يأتي:
- إذا كان النظر هو: ترتيب العلوم بحيث يؤدي إلى هيئة مخصوصة لتأدي إلى مجهول، وأن هذا الترتيب يتعلق بشيئين:
- أحدهما: تلك العلوم التي يقع فيها الترتيب وهي بمنزلة (المادة).

(١) شرح المقاصد، النقتازاني، ١ / ٤٣. وينظر : الارشاد، امام الحرمين، ٧، وينظر شرح الارشاد المقترح، ١ / ١١٣.

(٢) المواقف، الايجي، ١ / ١٤٧. وينظر: شرح المقاصد ، النقتازاني، ١ / ٤٢.

(٣) الارشاد، امام الحرمين، ٣.

(٤) شرح الارشاد، ابو بكر بن ميمون، تحقيق: احمد حجازي احمد السقا، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٧م، مصر، ١٩/

الثاني: تلك الهيئة المترتبة عليه وهي بمنزلة (الصورة) له فإذا اتصفت كل واحدة منهما بما هو صحتها في نفسها اتصف الترتيب قطعاً بصحته في نفسه أعني تأديته إلى المطلوب وإلا فلا مثل أن تكون القضايا المذكورة في الدليل مناسبة للمطلوب وصادقة إما قطعاً أو ظناً أو تسليمياً و يكون النظر صحيحاً بسبب صحة الصورة الحاصلة من رعاية الشرائط المعتمدة في ترتيب المعارف والمادة معاً أي بسبب هاتين الصحتين مجتمعين وفساده بفسادهما معاً أو فساد أحدهما.^(١)

فإذا أراد الإنسان أن يصل إلى السعادة والاطمئنان القلبي فعليه أن يعمل عقله، ويفكر في مختلف نواحي الحياة وما حوله من الآيات، وأن لا يتكاسل عن النظر والفكر، ويعتمد في ذلك على غيره، وكل ذلك بحسب حاله وقدراته العقلية، فطالب العلم عليه أن يجهد نفسه في الوصول إلى كمال العلوم وما يحسنه من الفنون، ومن كان دون ذلك فليقتصر على ما يستطيع من التفكير بألاء الله ومخلوقاته والذي يصل به إلى كمال الأيمان ووفور اليقين.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد

أما بعد : فبعد أن يسر الله كتابة هذه الورقات المتواضعة كان من الواجب أن تذكر أهم النتائج التي توصلت إليها، وهي كالآتي :

١. أن النظر العقلي والتفكير وتوجيه قدرات العقل إلى ما يهم المسلم في أمر دينه ودينه، أصل أصيل في ديننا الحنيف، وركن ركين حث عليه القرآن في آيات كثيرة تستنهض العقل المسلم، وتحثه لطلب العلم.

٢. يحتاج المسلم لكي يخرج من التقليد في عقيدته، وأن تكون عقيدته مبنية على القناعة الشخصية، وليست على التقليد المحض، يحتاج للخروج من ذلك إلى النظر، وذلك يكون بحسب حاله، فينظر إلى ما حوله من العالم وإحكام صنع الخالق، وإلى نفسي وما أودع الله فيها من دلائل لعظيم قدرته وكمال حكمته.

٣. أن لأمام الحرمين الدور البارز في تكوين مرتكزات التفكير الكلامي، وبناء الأسس التي تعتمد في الرد على الشبهات والوقوف بوجه المشككين، يشهد لذلك ما دونه في كتبه العظيمة والتي من أهمها : (الإرشاد، والشامل في علم الكلام، والبرهان في أصول الفقه) والتي أصبحت المرجع والمنهل العذب لمن جاء بعده، فكلّ يستقي من معينه ويسير على نهجه وخطاه.

(١) بنظر: المواقف، الإيجي/ ١٢٣.

٤. ان النظر ينقسم الى صحيح وفساد، وان الصحيح منها ما كان مستجعماً لشروط الصحة، والفساد منها هو الذي نكب عن الطريق الموصل وجانبه.

٥. من شروط صحة النظر، ان يهتدي الناظر فيه إلى وجه الدلالة على المطلوب، وذلك يستدعي النظر في حقائق الأشياء ومآلاتها دون الاقتصار على القشور والظواهر.

٦. من شروط صحة النظر أيضاً: ان تتسم بالصحة من جهتين: صورتها ومادتها، فصحة الصورة معناه الهيئة التركيبية التي يتألف منها الدليل، وذلك مبسوط في علم المنطق، اما مادة الدليل فينظر إليها هل هي قطعية لا يشك بصحتها أم هي ظنية، أم هي أقرب إلى الأوهام منها إلى الحقائق، وصحة الدليل انما تكون بمراعاة هذين الجانبين، وفساد النظر بفساده من أحد الجانبين.

التوصيات:

١. الاهتمام بدراسة الكتب التراثية ومحاولة ردم الهوة بين الدراسات الحديثة والقديمة ، ومد جسور التواصل بين العبارات الرصينة للمتقدمين ممن اثروا المكتبة الإسلامية بنفائس لا تزال مفخرة للأجيال.

٢. تكثيف الدراسات وتركيزها للكتب التي تعنى بصقل المهارات والملكات العقلية من اجل إنشاء جيل يجمع بين اصالة الماضي وإحكامه ومهارات المستقبل وتنوع وسائله ولا سيما كتب المتقدمين من العلماء كإمام الحرمين الجويني والغزالي والرازي عليهم سحائب الرحمة والرضوان.

هذا ما وفقني الله في التوصل إليه من النتائج وهو جهد المقلّ فإن أصبْتُ فذلك من فضل الله تعالى عليّ ، وإن أخطأت فمن نفسي. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي، الأمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت.
٢. الارشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، امام الحرمين الجويني، ت: الدكتور محمد يوسف موسى، مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٥٠ مصر.

٣. الامام الجويني ، امام الحرمين ، الدكتور محمد الزحيلي، دار القلم دمشق، الطبعة الثانية.
٤. الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات في أصول الفقه، شمس الدين محمد بن عثمان بن علي المارديني الشافعي (المتوفى: ٨٧١هـ) المحقق: عبد الكريم بن علي محمد بن النملة، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩م.

٥. البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧
٦. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
٧. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
٨. الجويني إمام الحرمين، الدكتورة فوفية حسين محمود، المؤسسة المصرية العامة.
٩. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، سنة الولادة ٦٧٣/ سنة الوفاة ٧٤٨، تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة.
١٠. الشامل في أصول الدين، امام الحرمين الجويني، مؤسسة مطالعات اسلامية، ايران.
١١. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ) حققه: محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
١٢. شرح الارشاد، ابو بكر بن ميمون، تحقيق: احمد حجازي احمد السقا، مكتبة الانجلو المصرية.
١٣. شرح الارشاد، مظفر بن عبد الله المصري المشهور المقترح، تحقيق: نزيه امعارج، المملكة المغربية الرابطة المحمدية للعلماء.
١٤. شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت: ٧٩١هـ) الناشر دار المعارف النعمانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، باكستان.
١٥. شرح الورقات في أصول الفقه، المؤلف: محمد الحسن ولد محمد الملقب بـ"الددو" الشنقيطي، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
١٦. شرح الورقات في أصول الفقه، جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي (المتوفى: ٨٦٤هـ)، قَدِّمَ له وحققه وعلّق عليه: الدكتور حسام الدين بن موسى عفانة، الناشر: جامعة القدس، فلسطين، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ .
١٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ.

١٨. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة.
١٩. قُرَّةُ الْعَيْنِ لِشَرْحِ رَقَاتِ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعَيْنِي المالكي (المتوفى: ٩٥٤هـ) تحقيق احمد مصطفى قاسم الطهطاوي، دار الفضيلة، مصر.
٢٠. الكافية في الجدل، امام الحرمين، تقديم الدكتورة فوقية حسين محمود، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ، ١٩٧٩م.
٢١. كتاب التلخيص في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، المحقق: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت.
٢٢. كتاب المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، (ت: ٧٥٦هـ) تحقيق عبد الرحمن عميرة، الناشر دار الجيل، سنة النشر ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م، لبنان - بيروت.
٢٣. المستصفي في علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى : ٥٠٥هـ) المحقق : محمد بن سليمان الأشقر، الناشر : مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة : الأولى.
٢٤. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.
٢٥. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
٢٦. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت: ١٤٢٠هـ.
٢٧. الورقات، امام الحرمين ، مع شرحه ، لعبد الرحمن بن ابراهيم الفزاري، المعروف بابن الفركاح الشافعي، تحقيق: سارة شافي الهاجري، دار البشائر الاسلامية.
٢٨. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) لمحقق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت .